السنة التاسعة والستون وثلاث مئة

فيها لما عاد عضد الدولة إلى بغداد من الموصل وقد استولى على بلاد أبي تَغْلب بن حَمدان وأمواله وذَخائره؛ سأل الطائعَ أن يُجدِّدَ له العَهْد، ويَخلَع عليه، فجلس على سريره، واحتفل له، وخلع عليه كما خلع في أول مرة وزيادة، فقال أبو إسحاق الصابئ على البَديه وهو مسجون: [من المنسرح]

يا عَضُدَ الدولةِ الذي عَلِقَتْ ... يداه من فَخره بأَعْرَقِهِ
لَبستَ للمُلْك تاجَ مِلَّتِه ... فحُزْتَ من غَربه ومَشْرِقِهِ
أَحْرَزْتَ منه الجَديدَ في عُمُرٍ ... أطالَه الله غيرَ مُخْلِقِه
يَلوحُ منك الجَبينُ مُبْتَهِجاً[1] ... لِحاظُنا من ضياء رَوْنَقِهِ
كأنه الشَّمسُ في إنارتها ... ويُشبه البَدْرَ في تأَلُّقِهِ
لما رأيتُ الرجالَ تُنْشِدُه ... من كُلِّ فَحْلِ القَريضِ منطقه[2]
فقال لي خاطِري أتَطمَعُ أن ... تُساجِلَ البَحْرَ في تَدَفُّقِهِ
خَفِّفْ وأوجِزْ فقلتُ مُخْتَصِراً ... للقولِ في جِدّه وأَصْدَقِهِ
يَفتَخِرُ النَّعْلُ تحت أَخْمَصِهِ ... فكيف بالتَّاجِ فوق مَفْرِقِهِ

قلت: ذكرُ النَّعلِ والتَّاجِ واقترانهما غيرُ مُسْتَحْسَن[3].

وفي المحرَّم توفي أبو الحسن عمران بن شاهين صاحب البَطيحَة فُجاءة.

وفي صفر قُتل أبو تغلب بن ناصر الدولة.

وفيها قَبض عضد الدولة على الشَّريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسويّ وأخيه أبي عبد الله أحمد، وقُلِّد أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق العَلويّ نقابةَ الطَّالبيين ببغداد وواسِط، وقُلِّد أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى نقابتهم بالكوفة، وأبو الحسن أحمد بن القاسم المُحَمَّدي نقابتهم بالبصرة والأهواز، وحَدَر بالشَّريفين أبي أحمد وأخيه إلى بعض قِلاعِ فارس، فاعتُقلا فيها.

---

(١) كذا في (خ) و(ب)، ولعلها: فابتهجت.

(٢) في المنتظم ١٤/ ٢٧١: مفلقة، وبعده بيت لم يذكره المصنف.

(٣) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

واحتجَّ عضد الدولة على أبي أحمد بأشياء منها: أنه أخرج خَطًّا مُزَوَّراً عليه إلى أبي تغلب بإفشاء سِرٍّ كان بينه وبين عضد الدولة، فقال له: ائتمنَّاك على سِرِّنا فأفشَيْتَه إلى عدوِّنا، فقال: أما الخطُّ فوالله ما كتبتُه، ولا أفشَيتُ لك سرًّا فقال: بلى، وخنتني في العقد الجوهر الذي بَذَله بختيار في الغُلام، فقال: والله ما خُنتك؛ لأنك رضيتَ بالجاريتين، فما جاز لي أن أخونَ بختيار.

وأما أحمد أخو الشريف فما كان له ذَنبٌ، وإنما اختار أن يكون مع أخيه وقال: والله ما أُفارق أخي، فاعتُقلا.

وفيها قَبض عضد الدولة على أبي محمد عُبيد الله بن مَعروف القاضي، وأنفذه إلى فارس، فاعتقله في قلعة، وقُلِّد قضاء القُضاةِ مكانه أبو سعد بِشرُ بن الحسين ـ وكان شيخاً كبيراً ـ وكتب عهده من الطائع، وردَّ إليه أمرَ القُضاةِ بأسرهم، منهم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] إبراهيم ابن الأكفاني[1]، كان على مدينة أبي جعفر، ومحمد بن عبد الله بن صُبَر على الرُّصافَة من باب الشمَّاسية إلى المُخَرَّم، وأبو محمد العُثماني على مدينة الشَّرقية، وأبو بكر بن عبد الله بن الأزرق على جسر النَّهْرَوان وطريق خُراسان، وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخَرَزي حَريمَ دار الخلافة وما يليها، وأبو إبراهيم إسماعيل بن الحسن العَلَوي واسطاً وما يليها، وأبو العباس المنصوري أرَّجان ورامَهُرْمُز ونواحيها، وأبو حازم علي بن عبد الله بن مكرم الأنبار وطريق الفُرات، وأبو بكر أحمد بن أبي موسى الهاشمي ديارَ ربيعة، ونَصِيبين، وبَرْقَعيد، وكَفَرْتُوثا، ودارا، ورأسَ عين، والخابور، وطُورَعَبْدين ونحوهما[2]، وأبو تمام عبد الكريم بن علي بن أبي حُصين المَوْصل وأعمالها، وأبو محمد عبد الله ابن محمد بن عُقبة الرَّحْبَة، والدَّالِية، وقَرْقِيْسِيا، وعانة، والرَّقَّة ونواحيها[3]، وأبو بكر

(١) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٠، والسير ١٧/ ١٥١.

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: ونحوها، أو وتخومهما، والله أعلم.

(٣) في (خ): وعامة الرقة ونواحيها، وفي (ب): وعامة والرقة ونواحيها، وليس في (ف م م١) لاختصار طويل ترد الإشارة إليه، ولعل المثبت هو الصواب إن شاء الله، فإن عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت يعدّ في أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات. انظر معجم البلدان ٤/ ٧٢ (عانة).

عبد الله بن الحسين بن إسماعيل المَحامِليّ ديارَ بكر وهي: آمِد، ومَيَّافارِقين، وأَرْزَن، وبَدْليس، وخِلاط ونواحيها وغير ذلك.

ذكر ما جرى للقاضي عُبيد الله بن مَعروف مع عَضُد الدَّولة:

قال أبو علي المُحَسِّن التَّنوخيّ: أراد عضد الدولة أن يجمع مجلساً فيه القضاةُ والشُّهود والفقهاء والوجوه، وإحضار ابنِ مَعروف وتفسيقَه بحضرتهم، فقلت له: يا مولانا، الرجل وَقاح، وقد يئس من نفسه، وربما أجاب جواباً يُحفظ ويُحفظ عنه، وهو أقلُّ من أن تَبلُغَ به هذا، فسكت ـ ومعنى يحفظ عنه: أنه يُفَسِّقُ عضد الدولة.

قال ابن معروف: لما حَبسني عضد الدولة أرسل إليَّ يقول: إنا أحسَنَّا إليك حالاً بعد حال إحساناً لم يقع منك رعايةٌ له؛ لما قَدِمنا إلى الحضرة في سنة أربع وستين وثلاث مئة وجَدْناك مَصروفاً، وضُرب أخوك بالسِّياط، وشُهر على الجِمال، وتُعُوِّضَ منك بأبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي الذي من صفته كذا وكذا... ومَدَحه، فرَدَدْناك إلى العمل، وأعَدْنا من جاهك ما سَقط وبَطَل، وبَلَّغنا إقطاعَك في كلِّ سنة مئةً وأربعين ألف درهم، وما ارتَزقها قاضٍ قبلَك، وانصرَفْنا من العراق فصِرت من المُجْلِبين علينا، وكان بختيار وابنُ بقية يَذكرانا في مجالسهما ذكراً يتجاوزان الأدب به فتُساعدهما عليه، وتشاركهما فيه. ووردنا ثانياً فحَضَّرتَ[1] رسالةً من الخليفة قلت: مولانا أمير المؤمنين يأمر سيّدنا الملك بكذا وكذا، تقصيراً لنا، ثم دخلتَ إلى حضرتنا بخُفٍّ ديباجٍ أصفر مُستهيناً بأمرنا، ثم أمرناك أن تَستخْلِف أبا بكر بن صُبَر فقلت: لا يَصلح، وراجعْناك وقلنا: لمَ لا يَصلح؟ فقلت: لأني قلتُ لا يَصلح، ثم لما قَبَضْنا عليك وَجَدْنا في بيتك الملاهي مما لا يكون مثلُه في دور القضاة وأهل التَّصَوُّن، وقيل لنا: إنك تجلس في مجلس الحُكم وأنت جُنُب، وتَشرب النَّبيذ وأنت غير مُتحاشٍ ولا مُحْتَشِم، وتَحضُر مجالسَ بختيار وابن بقية وتسمع أغانيهما، وتدخل معهما في هَزْلهما ولَهْوهما، ومَن كان بهذه الصفة لا يَصلُح أن يكون أهلاً للقضاء.

---

(١) كذا، ولعلها، وحبَرت، ولم أقف على الخبر فيما بين يدي من مصادر.

فقلت للرسول: كلُّ ما ذكر مولانا فقد حُرِمت فيه التوفيق، وفارقْتُ فيه الصَّواب، وفي عفْوِ مولانا الملك ما يدعو إلى مُسامحتي والصَّفح عني؛ فقال لي الرسول: قد قال لي الملك أنك ستُجيب بهذا الجواب، وأمرني أن لا أَقْنَع منك إلا بالجواب عن كلِّ بابٍ، فقلت: أخاف أن أقولَ قولاً يَتجدَّد لي به ذنبٌ مُستأنَف، فإن كنتُ آمناً من ذلك قلتُ.

فمضى الرسول وأخبره فقال: هو آمن، فرجع إلي وقال: أنت آمِن، قل ما عندك، فقلت:

أما قول مولانا الملك: إني كنتُ مَصروفاً فأعادني إلى العمل؛ فما كنتُ مصروفاً، وإنما امتنعتُ من النَّظَر، وسألني بختيار وابن بقية المُقام عليه فأَبيت.

وأما تفضُّلُ مولانا في تقليدي فما أَدفعُه.

وأما زيادتُه في إقطاعي فإنه قال لي وقد أخرجني إلى الخليفة: رُدَّه بلُطفٍ ونُقابلك عليه من الإحسان بما تؤثره، فبذَلْتُ في الخدمة جُهدي، حتى انتهى الأمر إلى المراد، فأنعم علي بزيادة الإقطاع مما أنا مُعترفٌ بالنِّعمةِ فيه، وشاكر عن المنَّةِ به.

وأما حضوري مجالسَ بختيار وابن بقية فو الله ما شاركتُهما في قولٍ قالاه، ولا كان ذلك مما يَسوغُ لمثلي.

وأما قولي في رسالة الخليفة: سيدنا الملك؛ فإن سيدنا أعظم من مولانا.

وأما لُبسي الخفَّ الديباج فهو أعظم من دخولي على الحضرة بخفٍّ من جلود.

وأما ابن الصُّبر فأنا مَوسومٌ بأمرٍ لا يجوز لي فيه إلا الصِّدقُ.

وأما ما وُجد في داري من الملاهي؛ فقد كنتُ ابتعتُ جَواري ولم أدرِ ما كان معهنّ، وهن اليوم عندكم، فسَلوهنَّ هل استدعيتُ أحداً منهن إلى مَلهاة.

وأما جلوسي في مجلسِ القضاء جُنباً فوالله ما فعلتُه، ولو فعلتُه لجاز حُكمي بإجماع الأُمّة.

وأما شُربُ النَّبيذ فإنني رجلٌ حَنفيّ أعتقد شُرْبَه حلالاً، وهذا جواب عن الفضول، ومع هذا فيسَعُني عفوُ مولانا الملك.

فلما أعاد الأجوبةَ إلى عضد الدولة قال: قد علمنا أنه سيُجيب.

ثم أمر بحَمْلِه إلى قلعةٍ بفارس، وكان قَبْضُه عليه في صفر هذه السنة، فأقام محبوساً إلى أن أطلقه شرف الدولة عند انتقال المُلْكِ إليه.

وكان عضد الدولة يظنُّ أن الطائعَ يَنزعج بقبضه عليه لكونه كان خَصيصاً به، فأرسل عضد الدولة مع ابن الحاجب النعمان إلى الطائع يُعَرِّفُه ذنوبَه، ويقول: نَزَّهْتُ مولانا أمير المؤمنين أن يَنتسب إلى خدمته مثلُه، فقال: نِعْمَ ما فعلتَ.

وفيها جَهَّز عضد الدولة أبا القاسم المُطَهَّر بن عبد الله إلى البَطيحة لقتال أبي محمد الحسن بن عمران بن شاهين، وكان قد قام مقام والده عمران لما مات، فقيل لعضد الدولة: إن الحسن لا يُقيم البطيحة بعد أبيه، فخلع عضد الدولة على المُطَهَّر، وجهَّزه بالمال والرجال والقوَّاد، فاستخلف ببغداد على الوزارة أبا الريَّان حمد بن محمد، فقطع المُطهّر الأنهار وسدَّ أفواهَها، وعمل المُسَنَّيات الموصلة إلى التِّلال والمعاقل، وأطلق المالَ الكثير.

وكان البَطائحيون يُفسدون ما كان يعمل، وكانوا يَخرجون فيقاتلون العَسكر، وكلما سدَّ مكاناً فتحوه، فأقام شهوراً كثيرة، ونَفَقت الأموال، وتضاعفت المؤن، وكتب إليه عضد الدولة يَستبطئه، ويَنسبه إلى العَجْز، فخاف، وضاق صدرُه من طول المقام، وقد[1] افصدني. فقال: أنت قريبُ عهدٍ بالفَصْد، فشتمه وطَرده، وأخذ سكّيناً فقطع رواشن[2] ذراعيه، فاستصفى ومات، وحُمل إلى بلده كازَرون، فدُفن به، واضطرب العَسكر، وبعث أبو محمد الحسين بن عمران يطلب العَفْوَ من عضد الدولة، وأن يَحمل إليه مالاً قرَّره عليه، فأجابه، وأعاد العسكر إلى بغداد[3].

وفيها تزوَّج الطائع بنتَ عضد الدولة الكبرى، وعُقد العقدُ بحضرة الطائع على صَداقٍ مَبلغُه مئتي ألف دينار، وكان الوكيل عن عضد الدولة في العقد أبو علي الحسن ابن أحمد الفارسي النَّحوي، والخطيب القاضي أبو علي المُحَسِّن بن علي التَّنوخيّ.

---

(١) في (خ ب): وقد أقصدني، وليس في (ف م م١) لاختصار نشير إليه قريباً، وفي النص سقط ظاهر، لعل صوابه: وقال للطبيب افصدني.

(٢) في الكامل ٨/ ٧٠١ : شرايين .

(٣) من قوله: وفيها قبض عضد الدولة على الشريف أبي أحمد... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفي شعبان وَرد رسولُ العزيز صاحب مصر إلى عضد الدولة، ويكنى بأبي الوليد، وما زالت كتُبه تتواتر حتى أجابه عضد الدولة بصِدْقِ الطَّوِيَّة، وإخلاصِ النية.

وذكر ابن الصابئ ما يدلُّ على أن عضد الدولة ابتدأه بالرسالة فقال: وقفتُ على هذا الكتاب وفيه: من عبد الله وليّه نزار أبي المنصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام ونصير ملَّة الإسلام أبي شُجاع بن أبي علي: سلامٌ عليك، فإن أمير المؤمنين يَحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله الصلاةَ على جدِّه محمد رسول رب العالمين، وحُجَّة الله على الخلق أجمعين، صلاةً باقيةً ناميةً مُتَّصِلةً دائمةً بعترتِه الهادِية، وذُرِّيته الطيبة الطاهرة.

وبعد: فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المُنْفَذ إليك، فأدَّى ما تحمَّلَه عنك من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومَودَّته، ومعرفتك بحقِّ إمامته، ومحَبَّتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين، فسُرَّ أمير المؤمنين بما سمعه عنك، ووافق ما كان يَتوَسَّمه فيك، وأنك لا تعدل عن الأحقِّ والأولى، والأفضل والأحرى، إلى الأَرْذَل والأدنى... وذكر كلاماً في هذا المعنى وقال:

وقد علمتَ ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين، وخرابَ الشَّام وضعف أهله، وغلاءَ الأسعار، ولولا ذلك لتوجَّه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثُّغور، وسوف يُقدِّم الخِيَرة، وكتابُه يَرد عليك عن قريب، فتأهَّب للجهاد في سبيل الله.

وذكر كلاماً هذا معناه وفي آخره: وكتب يعقوب بن يوسف عبد مولانا أمير المؤمنين.

وكتب إليه عضد الدولة كتاباً يَعترِفُ بفضل أهل البيت عليهم السلام، ويُقرُّ للعزيز بأنه من تلك النَّبْعةِ الطَّاهرة، وأنه في طاعته، ويُخاطبه بالحَضْرة الشَّريفة وما هذا معناه[1].

وحج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العَلويّ.

---

(١) من قوله: وفي شعبان ورد رسول العزيز... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[فصل] وفيها توفي

أحمد بن زكريا بن فارس

أبو الحُسين، اللُّغوي[١].

صاحب كتاب «المُجمل» في اللغة، وله التصانيفُ الحِسان.

وكان عالماً بفنون العلوم، [ولكن غلب عليه علم اللغة،] وروى عنه الأئمة وكانت وفاته ببغداد.

أنبأنا غير واحدٍ عن أبي الفضل محمد بن ناصر قال: أنشدنا أبو زكريا الخطيب التِّبريزي لابن فارس عند موته[٢]: [من البسيط]

يا ربِّ إنَّ ذُنوبي قد أحطْتَ بها ... عِلماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنا المُوحِّد لكني المُقِرُّ بها ... فهَبْ ذنوبي لتوحيدي وإقراري

[ومات بعد يومين.]

وفيها توفي

أحمد بن عطاء

ابن أحمد بن محمد بن عطاء، أبو عبد الله، الرُّوْذَباريّ، ابن أخت أبي علي الروذباري، شيخ الشام في وقته[٣].

---

(١) في (ف م م١): وفيها توفي ابن فارس اللغوي واسمه أحمد بن زكريا، والمثبت من (ب خ).
وقد سبق المصنفَ في إيراد اسمه ووفاته في هذه السنة ابنُ الجوزي في المنتظم ١٤/ ٢٧٥، وابن الأثير في الكامل ٨/ ٧١١، قال ياقوت في معجم الأدباء ٤/ ٨٠: ولا يعاج به ـ يريد أن صواب اسمه: أحمد بن فارس ابن زكريا ـ ووُجد بخط الحميدي أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاث مئة، وكل منهما لا اعتبار به لأني وجدت خط كفه على كتاب الفصيح تصنيفه، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة.
قلت: وقد صحح الذهبي في تاريخه ٨/ ٧٤٦، وفي السير ١٧/ ١٠٥ وفاته في سنة (٣٩٥ هـ)، وانظر يتيمة الدهر ٣/ ٤٦٣، وإنباه الرواة ١/ ٩٢، ووفيات الأعيان ١/ ١١٨، وفي حواشي هذه الكتب مصادر أخرى لمن أراد الاستزادة.

(٢) في (ب خ): وفاته ببغداد، وأنشد قبل موته بيومين لنفسه، والمثبت من (ف م م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٧، وتاريخ بغداد ٥/ ٥٥٢، والرسالة القشيرية ١٢٥، والمنتظم ١٤/ ٢٧٢، وتاريخ دمشق ٢/ ٦ (مخطوط)، ومناقب الأبرار ٢/ ٢١٠، والكامل ٨/ ٧١٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٩٩، والسير ١٦/ ٢٢٧.

[سكن صُور، وأثنى عليه الأئمة، فقال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ:] كان يرجع إلى أحوالٍ اختصَّ بها، وأنواعٍ من علوم الشريعة، منها: علم القرآن[1]، والحديث، والحقائق، وتعظيم الفقر وصيانته، ومحبّته للفقراء والرفق بهم، وأخلاق في التجريد يُربي على أقرانه فيها.

[وقال القشيري في «الرسالة»: هو شيخ الشام والصّوفية في وقته.]

نشأ ببغداد، وأقام بها مدَّةً، ثم انتقل إلى الساحل فأقام بصور.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى ابن خميس عنه في «المناقب» والقشيري] قال: كنتُ راكباً على جمل، فغاصت رِجلُه في الرَّمل فقلتُ: جلَّ الله، فقال الجمل: جلّ الله.

وكان إذا دُعي إلى دعوة في دور بعض السُّوقة أطعم الفقراء طعاماً طيباً؛ لئلَّا يَمدُّوا أيديَهم إلى طعام الدَّعوة إلا بالتَّعَزُّز، حفظاً لجانب الفقراء لئلا يُنسبوا إلى الشَّرَه، فيأثم الناسُ بطريقهم.

[قال: ودعاه رجل إلى دعوة، فحضر ومعه الفقراء، فلما خرجوا قام يمشي في أثرهم،] فاجتاز برجلٍ وهو يقع في الفُقراء ويَشتُمهم، فقال له: إيش بينك وبينهم؟ قال: استقرض مني واحدٌ منهم مئة درهم ولم يَرُدَّها علي، ولا أعلم له مكاناً، فبعث إليه الشيخ بمئة درهم، وقال الرسول: هذه من الفقير الذي استَقْرَضَها منك، وكان له عُذْرٌ في تأخيرها عنك.

ثم اجتاز بعد ذلك بذلك الرجل وهو يَمدح الفقراء ويقول: هؤلاء السَّادةُ الصُّلَحاء.

[حكى السُّلَمي وابن خميس عنه قالا:] دخل يوماً دارَ بعضِ أصحابه، فرأى فيها بيتاً مُقفَلاً، فقال: صوفي له بيتٌ مُقفَل، فكسر القُفل، وأمر ببيع كلِّ ما في البيت، وعَمِل بثمنه دعوةً للفقراء، وجاء صاحبُ البيت، فدخل فلم يجد فيه شيئاً، وجاءت زوجتُه بعده وعليها كِساء، فدخلت بيتاً وقالت: يا أصحابنا، هذا الكِساء من مَتاع

(١) في طبقات الصوفية: علم القراءات من القرآن.

البيت المُقْفَل فبيعوه، فقال لها الزوج: لمَ فعلتِ هذا؟ فقالت: اسكت، مثلُ الشيخ يُباسطنا ويَحكم علينا ونَذَّخِر عنه شيئاً.

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» أنه] سئل عن القَبْض والبسط فقال: القَبضُ أوّلُ أسباب الفناء، والبسط أول أسباب البقاء.

وقال: الذَّوقُ أولُ المواجِد، فأهلُ الغَيبة إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا.

وقال: أقبحُ من كلِّ قَبيح صوفيٌّ شَحيح.

وقال: من قَلَّت آفاتُه اتَّصلَت بالحقِّ أوقاتُه.

وقال: مُجالسةُ الأضداد ذَوَبان الرُّوح، ومجالسة الأشكال تَلقيحُ العقول.

وأنشد له في «المناقب»: [من الطويل]

فما مَلَّ ساقِيْها وما مَلَّ شارِبٌ ... عُقارَ لِحاظٍ كأسُها يُسْكِرُ اللُّبَّا

يَدوُر بها طَرْفٌ من السِّحْرِ فاترٌ ... على شَكْلِ[1] نُورٍ ضَوؤه يَخطِفُ القَلْبا

تُشيرُ بلَحْظٍ يَحجِبُ الخالَ حُسْنُه[2] ... تجاوزْتَ يا مَشغوفُ في حالِكَ الحُبَّا

فسُكْرُكَ من لَحْظي هو الوَجْدُ كلُّه ... وصَحْوُكَ من لَفْظي يُبيحُ لك الشُّرْبا

[وحكى الخطيب عنه أنه] قال: مَن خرج يريد العلم لم ينفعه العلم، ومَن خرج إلى العلم يُريد العملَ بالعلم نفعه قليل العلم.

وأنشد له الخطيب: [من الطويل]

إذا أنتَ صاحَبْتَ الرِّجالَ فكن فتًى ... كأنَّكَ مَملوكٌ لكلِّ صَديقِ

وكنْ مثلَ طَعْمِ الماءِ عَذْباً وبارِداً ... على الكَبِدِ الحَرَّى لكلِّ رَفيقِ

ذكر وفاته:

[حكى الخطيب عن أبي عبد الله الصُّوري قال: توفي أحمد الرُّوذَباري] بقرية بين عكا وصور يُقال لها: مَنْوات في ذي الحجة من هذه السنة، فحُمل إلى صور فدفن بها.

---

(١) في مناقب الأبرار ٢/ ٢١١، وطبقات الصوفية ٥٠٠: على جسم.

(٢) في طبقات الصوفية: يقول بلفظ يخجل الصب حسنه، وفي مناقب الأبرار: يقول بلحظ يخجل الحب حسنه.

وقيل: إنه وَقَع من سَطْحٍ فمات، وقيل: مات فجأة.

[وقد وهم أبو نعيم فقال[١]: مات سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وهو يعقد[٢].

أسند عن القاضي المحاملي، وابن الزبرقان، وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم.

وروى عنه أبو الحسن بن جُميع، وأبو الحسن علي بن جَهْضَم، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن باكويه، وآخرون]، وأجمعوا عليه.

الحسين بن علي

أبو عبد الله، البَصريّ، ويعرف بالجُعَل.

سكن بغداد، وكان من شيوخ المعتزلة، وصَنَّف على مذاهبهم، وتوفي يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة، وفُجِع به عضد الدولة لأنه كان مُقدَّماً عنده، ونازلاً في ألطَفِ منزلة منه.

وكان من وجوه المتكلِّمين ومُبَرِّزيهم، ومَن له المعرفة والدولة فيهم.

وكان عضد الدولة يَرى رأيَ المعتزلة، وظهروا في أيامه، وجلسوا في الجوامع، ولما قيل لعضد الدولة: هذا مَذهبٌ قد دَثَر فقال: رأيي رأيُ أبي عبد الله البَصري، فلما مات عضد الدولة تَفرَّقوا ولم يجتمعوا خوفاً من العامة[٣].

[فصل وفيها توفي

عبد الله بن محمد

الرَّاسِبيّ بغداديُّ الأصل، من كبار المشايخ وأرباب المعاملات.

[ذكر في«المناقب» أنه] قال: القلبُ إذا امتُحن بالتَّقوى نُزِع عنه حبُّ الدنيا والشَّهوات، وأُوقفَ على المُغَيَّبات.

وقال: المحبَّةُ إذا ظَهرت افتُضِحَ المحبُّ، وإذا كُتِمتْ قَتَلَتْ، وأنشد: [من الكامل]

ولقد أُفارقُه بإظهارِ الهوى عَمْداً ليَسْتُرَ سِرَّه إعلانُه

(١) في الحلية ١٠/ ٣٨٣.

(٢) كذا، ولم أتبينها وليست في الحلية، ولعلها: وهو ثقة. والله أعلم.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٦٢٦، والمنتظم ١٤/ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٠١. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

ولَـرُبَّـمـا كَـتـمَ الـهـوى إظـهـارُه ولـربَّـمـا فَـضَـح الـهـوى كِـتْـمـانُـه
عِـيُّ الـمُـحِـبِّ لـدى الـحبيـبِ بَـلاغَـةٌ ولـربَّـمـا قـتـلَ الـبَـلـيـغَ لـسـانُـه
كـم قـد رأيـنـا قـاهـراً سُـلـطـانُـه لـلـنـاسِ ذَلَّ بـحِـبِّـه سُـلـطـانُـه

وقال: خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمُواصَلة، والمؤمنين للمُجاهَدة.

وقال: أعظمُ البَلاء صُحْبتُك لمَن لا يُوافِقُك، ولا تَقدِرُ على تَرْكِه.

وقال: أعظم حِجابٍ بينك وبين الحق اشتغالُك بتدبير نفسك، واعتمادُك على عاجزٍ مثلك في أسبابك.

[صَحِب الرَّاسبي ابنَ عطاء والجَريري، ودخل الشام، ثم عاد إلى بغداد فتوفي بها في هذه السنة.][1]

أبو تَغْلِب الغَضَنْفَر

قد ذكرنا سيرته وأيامه على ترتيب السنين، ولما استولى عضد الدولة على الموصل، وديار ربيعة، وقلاع ابن حَمدان، انهزم إلى خَلاط، وقصد أَرْزَن الرُّوم، فلَحِقه عسكرُ عضد الدولة مع أبي الوفاء، فحاربه، فأسر أبو السَّرايا أبا تغلب، وبعث به إلى عضد الدولة، فقتله في صَفَر.

قال المصنّف رحمه الله: وهذا لا يصحّ، والأصحُّ أن أبا تغلب لما استولى عضد الدولة على بلاده هرب إلى دمشق مُسْتَنجِداً بصاحب مصر، وبدمشقَ عَيَّارٌ يقال له: قَسَّام قد استولى عليها وتحصَّن بها، وخالف على صاحب مصر، فلم يُمَكِّنه من دخولها، فنزل ظاهرَها، ثم ارتفع إلى نَوى، وفارقه أبو الغِطريف ابنُ عمّه، وصار إلى عضد الدولة فأكرمه.

وبعث أبو تغلب كاتبَه إلى صاحب مصر يَستنجِد به، فجاء الجواب: يَحضر البِساط وعندنا كل ما يُريد، فامتنع، ورحل من نوى فنزل كَفَرعاقِب، وفارقه أخوه أبو طاهر إبراهيم باتِّفاقٍ منه، وصار إلى عضد الدولة.

---

(١) في (خ ب): في أسبابك وتوفي ببغداد، والمثبت من (ف م م١). وانظر ترجمته في طبقات الصوفية ٥١٣، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٢٤، وذكرا أن وفاته سنة (٣٦٧ هـ).

وبعث صاحب مصر غلاماً له يقال له: الفضل لحصار دمشق، فاجتمع به أبو تغلب وكانا على ظهور خيولهما، ووعده الفضل عن صاحب مصر بكلِّ خير، وسأله المسير إلى دمشق فامتنع، وسار الفضل إلى دمشق فلم يتمّ له أمرٌ، فعاد.

وكان بالرَّمْلَة المُفَرِّج بن دَغْفَل الطائي قد استولى عليها، فسار إلى بني عُقيل ليواقِعَهم، فلجؤوا إلى أبي تغلب فأجارهم، وحشد المفرّج والفضل، وسار إليهم أبو تغلب على باب الرملة يوم الخميس لليلةٍ بقيت من صفر، فانهزمت بنو عُقيل، وضَعُف أمر أبي تغلب، وفارقه مَن بقي معه من الأتراك إلى العراق، وبقي من غِلمانه الحَمَدانية سبعُ مئة فارس، فقاتل، فضرب بعضُ الصعاليك فَرسَه من ورائه فوقع، فأخذه المفرّج أسيراً، فشدَّ يديه ورجليه بسِلسلةٍ على ناقة، وأضمر أنه يُبقي عليه، وسمع به الفضل فجاء ليأخُذَه من المفرّج، فامتنع من تسليمه وقال: تُريد أن تتقرَّب به إلى صاحب مصر؟! فأناخ الناقةَ، وضربه بيده بسيفه حتى قَتله، وجاء بعض الأعراب فقطع يديه ورجليه؛ لأنه كان قد فعل بولَدٍ له كذلك.

وأخذ الفضل رأسَه، وسار به إلى مصر، وبعث المفرج بأُخته جميلة وعياله إلى حلب، فبعث بها ابنُ سيف الدولة إلى عضد الدولة، فحُبِست في دار المملكة، وأخذ الله بالثأر لناصر الدولة وأولاده من أبي تغلب، وصار عِبرةً للعالَمين، وبيتُ الظَّالمِ خرابٌ ولو بعد حين[1].

محمد بن صالح

ابن علي بن يحيى بن عبد الله، أبو الحسن، القاضي، القُرَشيّ، الهاشمي، العباسي، ويعرف بابن أمِّ شَيبان.

أصله من الكوفة، وأمُّ شَيبان هي والدة يحيى بن عبد الله جدِّ أبيه، اسمها كُنيتها، وهي بنت يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن زكريا بن طلحة بن عبيد الله التَّيمي، وأمُّ زكريا بن طلحة أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٨ ـ ٤٠، والكامل ٨/ ٦٩٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٠ و ٢٩٢، والسير ١٦/ ٣٠٦.

وُلِد محمد يوم عاشوراء سنة أربع وتسعين ومئتين، ووَلَدَه ثلاثةٌ من الصحابة: أبو بكر وطلحة ﷺ والثالث لم يُسمّه، والأصحُّ اثنان.

قدم به أبوه بغداد من الكوفة سنة إحدى وثلاث مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديثَ الكثير، وتفقَّه على مذهب مالك.

وكان عاقلاً، مُتميّزاً، كثيرَ التَّصانيف.

قال الخطيب: ولا أعلم قاضياً تقلَّد القضاءَ من بني هاشم بمدينة السلام غيرُه.

وكان عضد الدولة يقول: ما وقعتْ عَيني على أحدٍ من أهل بغداد يَستحقُّ التَّفضيلَ سوى رجلين: ابن أُمِّ شَيبان، ومحمد بن عُمر العَلوي، وهما من أهل الكوفة لا من أهل بغداد.

مات ابنُ أم شيبان فجأة في جُمادى الأولى، واتَّفقوا على فضله وصدقه[1].

محمد بن علي بن الحسن

أبو بكر، التِّنِّيْسِيّ.

سمع منه الدارقطني بتِنِّيْس[2]، ورآه وحده فقال: يا أبا بكر، ما في بلدك مسلم؟! قال: بلى، ولكنهم اشتغلوا بالدنيا عن الآخرة.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٨، والمنتظم ١٤/ ٢٧٣، والسير ١٦/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣١١.

(٢) في (ب) والترجمة منها: التفليسي سمع منه الدارقطني بتفليس، وهو خطأ، والتصويب من تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٩٢، والسير ١٦/ ٢٣٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣١٢، والتراجم الثلاث الأخيرة ليست في (ف م م١).